

آليات تفعيل دور البعد الثقافي في الدبلوماسية الجزائرية لحماية المصالح الوطنية في المنطقة المتوسطية

Mechanisms for activating the role of the cultural dimension in Algerian diplomacy to protect national interests in the Mediterranean region

محفوظ عيس¹، جامعة بويرة (الجزائر)، m.ais@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/10 تاريخ القبول: 2025/01/20 تاريخ النشر: 2025/02/03

الملخص:

تمتلك الجزائر عديد المقومات الحضارية والثقافية، التي يمكن استغلالها لحماية المصالح الوطنية، وتعزيز مكانتها اقليميا ودوليا، حيث ألزمت التحولات الدولية في الانتقال من الدبلوماسية التقليدية والعسكرية في تنفيذ السياسة الخارجية للدول، نحو تفعيل آليات جديدة أحد عناصرها البعد الثقافي، وتعمل الجزائر من خلال إدراكها لتنوعها الثقافي وتراثها الشعبي، على تفعيل الآليات المناسبة في التوظيف الإيجابي للبعد الثقافي في الدبلوماسية الجزائرية دفاعا عن المصالح الوطنية، ومنه ركزنا في هذا المقال العلمي على محاولة الإجابة عن السؤال التالي: كيف يمكن تفعيل آليات دور البعد الثقافي في الدبلوماسية الجزائرية لحماية المصالح الوطنية في المنطقة المتوسطية ؟

الكلمات المفتاحية: الجزائر، الدبلوماسية، البعد الثقافي، المصالح الوطنية، المنطقة المتوسطية

Abstract:

Algeria possesses numerous civilizational and cultural assets that can be leveraged to protect its national interests and enhance its regional and international standing. Global shifts have necessitated a transition from traditional and military diplomacy in the implementation of foreign policy toward the activation of new mechanisms, one of which is the cultural dimension. By recognizing its cultural diversity and popular heritage, Algeria seeks to activate appropriate mechanisms for the positive utilization of the cultural dimension in its diplomacy to defend national interests, thus this scientific article focuses on attempting to answer the following question: Can the mechanisms of the cultural dimension's role in Algerian diplomacy be activated to protect national interests in the Mediterranean region?

Key words: Algeria, diplomacy, cultural dimension, national interests, Mediterranean region.

مقدمة:

تشكل منطقة المتوسط دائرة من دوائر السياسة الخارجية للدولة الجزائرية، إذ الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية لهذه المنطقة وبحكم الموقع الجغرافي للجزائر، فقد برز لدى صناع القرار توجه سياسي نحو ضرورة تفعيل الآليات المناسبة في الدفاع عن المصالح الوطنية في منطقة المتوسط، ضمن المجال الدبلوماسي للسياسة الخارجية الجزائرية، فكان ضمن هذا المجال ضرورة تفعيل البعد الثقافي في حماية الأمن القومي والمصالح الوطنية.

أهمية الموضوع:

تعتبر الدبلوماسية بمختلف أشكالها أداة أساسية في ممارسة الدولة سيادتها دفاعا عن حقوقها ومصالحها داخليا وخارجيا، لذلك تعتبر دراستها أمرا ضروري من خلال الدعوة إلى إيجاد الآليات المناسبة السياسية وغير السياسية في تفعيل الممارسة الدبلوماسية الفعالة لتحقيق الدولة مصالحها، وحماية أمنها القومي ضمن محيطها الاقليمي والدولي.

أهداف الموضوع:

تهدف الدراسة أساسا إلى تحليل واقع الدبلوماسية الجزائرية، وتقييم مدى تمكن الجزائر وجاهزيتها في توظيف وتفعيل كافة مواردها المتاحة، ومنها الثقافية في حماية مصالحها الوطنية عامة، وفي المنطقة المتوسطة خاصة.

منطلق الدراسة التساؤل التالي:

كيف يمكن تفعيل آليات دور البعد الثقافي في الدبلوماسية الجزائرية لحماية المصالح الوطنية في المنطقة المتوسطة؟

التساؤلات الفرعية:

- ما المقصود بالدبلوماسية الثقافية؟
- فيما تتمثل أهم الامكانيات الثقافية والحضارية للدولة الجزائرية؟

- ماهي آليات توظيف الدبلوماسية الثقافية للسياسة الخارجية الجزائرية لحماية مصالحها في منطقة المتوسط؟

الفرضية:

إن تحولات الأوضاع الدولية في الانتقال من الدبلوماسية التقليدية نحو الدبلوماسية الحديثة قد ألزم الجزائر العمل على تفعيل واستيعاب آليات جديدة في الفعل الثقافي للدبلوماسية الجزائرية.

الدراسة وصفية من خلال اعتماد منهج التحليلي الوصفي وجمع المعلومات والبيانات حول الامكانيات الثقافية للجزائر، وكذلك أداة تحليل المضمون بفحص مضمون الخطاب الدبلوماسي، وتحليل لغته ومفرداته في تفعيل دور البعد الثقافي لحماية المصالح الوطنية. تقسيمات الدراسة: قسم موضوع الدراسة إلى محورين؛ خصص المحور الأول لموضوع الامكانيات الثقافية والحضارية للجزائر، بينما خصص المحور الثاني للدراسة الدور الدبلوماسي الثقافي للجزائر في حماية مصالحها في منطقة المتوسط، وذلك كالآتي:

المحور الأول

الامكانيات الثقافية والحضارية للجزائر

بداية كمدخل تمهيدي ندرس مفهوم الدبلوماسية الثقافية وأهدافها، بعدها نحاول التركيز على كشف أهم الامكانيات الثقافية والحضارية للدولة الجزائرية، وعلاقة ذلك بالسياسة الخارجية والفعل الثقافي للدبلوماسية، وقصد الامام بموضوع الدبلوماسية الثقافية، قسم المحور ضمن العناصر التالية:

أولاً: مفهوم الدبلوماسية الثقافية

قسم هذا العنصر بدوره إلى ثلاثة عناصر، حيث خصص العنصر الأول للتعريف بالدبلوماسية الثقافية، أما العنصر الثاني ندرس فيه أهم أهداف الدبلوماسية الثقافية، بينما ندرس في العنصر الثالث والأخير، أهم الموارد والمكونات الثقافية للجزائر.

1- تعريف الدبلوماسية الثقافية:

الدبلوماسية بصفة عامة تعني مجموعة من المفاهيم والقواعد والاجراءات والمراسيم والمؤسسات والأعراف الدولية، التي تنظم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، بهدف خدمة المصالح العليا للدولة (الأمنية والاقتصادية) والسياسات العامة، وللتوثيق بين مصالح الدول بواسطة الاتصال والتبادل و إجراء المفاوضات السياسية وعقد الاتفاقيات والمعاهدات الدولية (أبو عباده، 2009، الصفحة 13).

أما بالنسبة للدبلوماسية الثقافية فإنه يمكن تعريفها أنها عبارة عن عملية تبادل التقاليد، والقيم، والأهداف، والأفكار، بهدف تعزيز سبل التفاهم والتعاون والتقارب، حيث تزداد هذه الحاجة للدول عندما تكثر الحملات العدائية ضدها فتتشر المغالطات والصور المشوهة، فتحتاج إلى وسيلة أو أسلوب حوار ثقافي لنشر حقيقتها عند الشعوب الأخرى، فتأتي المشاركات الثقافية من أجل تنشيط الدبلوماسية الثقافية على هيئة معارض أو ندوات ثقافية في مختلف دول العالم من أجل تحقيق أهداف ثقافية سياسية تخدم أهداف الدولة الدبلوماسية (العلوي، 2019، <https://alwatannews.net/article/834541/Opinion>).

نستنتج أن مفهوم الدبلوماسية الثقافية يقوم على أساس الحوار وتبادل الأفكار، والترويج الثقافي والسياسي لمختلف قيم وعادات الدولة سعياً منها لتحقيق التعايش وتلاقي الثقافات لمختلف الشعوب المحيطة بها في الجوار الاقليمي أو الدولي.

2- أهداف الدبلوماسية الثقافية

تعمل أي دولة على الدفاع عن مكانتها الدولية وتحقيق أهدافها في تعزيز نفوذها السياسي، وذلك انطلاقاً من وعيها بأهمية تفعيل أبعاد الدبلوماسية الثقافية وتحقيق أهدافها، إذ تبرز أهم تلك الأهداف في ما يلي:

1- ربط دول العالم في إطار من القيم، والمثل، والمبادئ، والأخلاقيات الدولية المشتركة (السني، 2016، الصفحة 65).

2- تحقيق المصالح الحكومية والوطنية للدول (Tim rivera, 2015, p10).

3- فرض النفوذ عن طريق المنح، والعطايا، والمراكز الثقافية وبرامجها المنتشرة في دول العالم (الجوهري، 2018، <https://middle-east-online.com>).

4- الدبلوماسية الثقافية تساعد على جذب انتباه واهتمام الشعوب المستهدفة، عبر الاحاطة بثقافة الدولة وتاريخها وفنونها ولغتها، ومن ثم زيادة حضورها في الخارج (عقيل، د س ن، الصفحة 7).

عموماً يمكن القول أن أهداف الدبلوماسية الثقافية مرتبطة أساساً بمختلف الأساليب الثقافية التي تتبناها الدول، إذ لها مظاهر عديدة مختلفة تهدف إلى زرع ثقافي، أو نموذج ثقافي معين- كالنموذج الأمريكي أو النموذج الأوروبي- في وسط اجتماعي معين، وذلك عن طريق برامج التبادل الثقافي، وإقامة العروض الثقافية ونشر تعليم اللغة القومية وفتح المكاتب الثقافية والمؤسسات التعليمية في الخارج، وقد اعتمدت غالبية الدول الامبريالية هذا الأسلوب مع الشعوب المحتلة من خلال ما يسمى بالعملة الثقافية، وفي هذا السياق أكد " هيتلر ماهوني "مستشار الشؤون الاعلامية والثقافية بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة: (أن الدبلوماسية الشعبية الأمريكية تسعى لتحقيق عديد الأهداف، منها الأهداف المتعلقة بالجانب الأمني ومنها أهداف متعلقة بالجانب السياسي وهي الحفاظ على الهيمنة العالمية بشكل دائم، إلى جانب أهداف ثقافية وعلمية) (الكعود، 2016، الصفحة 53).

3- الإرث التاريخي الحضاري والثقافي للجزائر

ساعدت المساحة الكبيرة الواسعة لجغرافيا الجزائر، وتعاقب الحضارات عليها (الفينيقيين، الرومان، النوميديين، الفتح الإسلامي)، في تنوع عادات وتقاليد ولغات المجتمع الجزائري، حيث يشتهر الإرث الثقافي بتنوعه وتعددته باختلاف مناطقه، ويشمل هذا التنوع الثقافي، ما يلي (صدوقي، 2018، الصفحات 184-188):

- تعدد اللهجات داخل المجتمع الجزائري: إن اللغة من أهم عوامل توحيد الأمم والشعوب، والواقع اللغوي الجزائري واقع ثري ثراء اللهجات، فاللغة العربية تعتبر اللغة الوطنية والرسمية للدولة الجزائرية منذ دستور عام 1963، والأمر نفسه بالنسبة للغة الأمازيغية، فهي مدسّرة، ومنتشرة في الواقع اللغوي الجزائري، والتي يستعملها سكان منطقة القبائل في كل من ولاية تيزي وزو وبجاية، والبويرة وبومرداس، ولهجات مختلفة في منطقة الشمال الغربي للجزائر (تيبازة، شرشال، قوارية، الداموس، تنس)، إلى الشاوية التي يتحدث بها سكان الأوراس الكبير (باتنة، خنشلة، تبسة، أم البواقي، سوق هراس)، شرق الجزائر، إلى الميزابية التي تنتشر في منطقة غرداية، وكذلك التارقية التي يستعملها سكان الصحراء.

- تعدد المذاهب الدينية: يعمل أغلب الجزائريين بالدين الإسلامي، باعتبار أن الإسلام دين الدولة الجزائرية، كما نص عليه دستور الدولة، ولكن يوجد أقليات صغيرة جدا من أديان أخرى، حيث يشكل الإسلام حوالي 99% من بين عدد السكان الإجمالي للجزائر، بالإضافة إلى قلة قليلة ممن يدين بالديانة المسيحية (كاثوليك، بروتستانت)، إذ يجهل العدد الحقيقي الذي وصلت إليه نسبتهم، فأغلبيتهم من أصول أوروبية لاسيما الفرنسيين وهم الكاثوليك، أما البروتستانت فغالبيتهم من الجزائريين الأصليين، واتباعهم لهذه الديانة حديث العهد نظرا لحملات التبشير في الجزائر في نهاية التسعينيات، حيث يتركز تواجدهم في منطقة القبائل، أما اليهود فلم يبق منهم سوى عدد قليل جدا، يتمركزون خصوصا في العاصمة والبليدة،

وتلمسان وشرشال.

في الديانة الإسلامية في حد ذاتها توجد عدة مذاهب إسلامية في الجزائر، حيث الأغلبية الكبيرة من المسلمين في الجزائر هم أصحاب المذهب السني، كما تتبع الدولة المذهب المالكي، مع وجود بعض المناطق في البلاد لاسيما في المناطق الغربية والصحراوية تتبع الطرق الصوفية، لكن يجهل نسبة أتباع هذه الطرق، لكنها في كل الأحوال لا تتعدى نسبا قليلة.

كما يوجد المذهب الإباضي في منطقة بني ميزاب، وهم من الأمازيغ المنتشرين في مختلف مناطق الجزائر، ويتواجدون بشكل كثيف في مدينة غرداية في منطقة شمال الصحراء، ولا يوجد إحصاء حقيقي عن عدد منتسبي هذا المذهب.

- **تنوع الطابع الموسيقي:** تتميز الجزائر بثراء أنماطها الموسيقية، والمنتشرة عبر كافة ولاياتها، وهي:

- **الطابع الأندلسي:** هو موروث ورثته بلدان الشمال الإفريقي عن المجتمع الأندلسي، تختلف تسمية هذا اللون الموسيقي من منطقة إلى أخرى، فيسمى الغرناطي في تلمسان ونواحي غرب الجزائر، والصنعة في الجزائر العاصمة، والمالوف في قسنطينة، ومن أشهر مغنيها: الحاج محمد طاهر الفرقاني.

- **الطابع الشعبي:** يعتبر اللون الموسيقي الأكثر استماعا في المنطقة الوسطى للجزائر (العاصمة وضواحيها)، ومن رواده: الحاج محمد العنقى، ودحمان الحراشي.

- **الطابع القبائلي:** ينتشر في منطقة القبائل الكبرى والوسطى، من أشهر فناني هذا الطابع: إيدر، لونيس آيت منقلات، الشيخ الحسناوي.

- **الطابع الشاوي:** يعد من الموسيقى الجزائرية التقليدية، ينتشر هذا اللون في منطقة الأوراس (منطقة شرق الجزائري)، ومن أبرز رواده: المطرب عيسى الجرموني، حدة بقار.

- **الطابع التارقي:** هو نمط موسيقي في أقصى الجنوب الجزائري (إلزي، تمنغست)، وهو نوع

- من الموسيقى القديمة المستوردة من إفريقيا من قبل الأسر الحاكمة في المغرب الكبير.
- تنوع اللباس التقليدي الجزائري: يعتبر الزي التقليدي من المكونات الثقافية لأي شعب فهو مرتبط ارتباط وثيق بهوية الفرد، وفي الجزائر يتنوع هذا اللباس من منطقة لأخرى، فنجد: الكاركو العاصي، القندورة القسنطينية، القندورة العنابية، البنوار السطايفي، اللباس التقليدي الشاوي، الشدة التلمسانية، البلوزة الوهرانية... وغيرها.
 - تعدد المواقع السياحية: الموقع الجغرافي للجزائر، جعلها تنفرد بمقومات طبيعية وحضرية جد متميزة، فهي تملك مجموعة من الامكانيات السياحية، تتمثل في:
 - الامكانيات الطبيعية: تتمثل في التنوع الذي تزخر به الجزائر من شريط ساحلي يمتد على طول الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، ضف إلى ذلك العديد من الحظائر الوطنية المتواجدة في مختلف مناطق الجزائر، أهمها الحظيرة الوطنية بالقالة، والتي تضم ثلاث شواطئ وثلاث محميات تحتوي على 50 نوع للطيور وأنواع من الحيوانات الأخرى، وحظيرة جرجرة، كذلك العديد من المغارات والكهوف، كما تتميز الجزائر بصحرائها وكهوفها المتميزة برسوماتها الحائطية تعود لفترة ما قبل التاريخ، أهمها الحظيرة الوطنية للطاسيلي المصنفة ضمن التراث العالمي من طرف اليونسكو عام 1982.
 - الامكانيات الثقافية والتاريخية: تتميز الجزائر بتنوع ثقافي وتاريخي مهم يعود بالأساس إلى تعدد الحضارات والثقافات التي مرت على الجزائر (الفينيقية، الرومانية، البيزنطية، الوندالية، المسلمين، الأتراك، وأخيرا الفرنسيين) حيث تركت كل منها بصماتها على الإرث العمراني والثقافي للجزائر ما أكسبها غنى في هذا المجال، وهو ما جعل العديد من المناطق مصنفة ضمن التراث العالمي لليونسكو عام 1982، وأهمها: مدينة جميلة، حضيرة الطاسلي، مدينة تيبازة الأثرية، مدينة تمقاد، المدن الميزابية...، كم تم تصنيف قصبة الجزائر التي بنيت في العهد العثماني عام 1992.

نستنتج أنه انطلاقاً مما تملكه الجزائر من مقومات ثقافية وتاريخية حضارية كان لابد على صانع القرار العمل على وضع سياسة داخلية تركز أساساً على تفعيل الآليات اللازمة لإبراز البعد الثقافي للدبلوماسية الجزائرية، في مختلف دوائر السياسة الخارجية منها خاصة دائرة المنطقة المتوسطية، بهدف تحقيق أمهنا القومي والدفاع عن المصالح الوطنية للدولة.

المحور الثاني: الدور الدبلوماسي الثقافي للجزائر في حماية مصالحها في منطقة المتوسط
على اعتبار أن السياسة الخارجية هي امتداد وانعكاس للسياسة الداخلية، فإنه سيتم التركيز على أهم السياسات الواجب العمل بها ضمن السياسة الداخلية للدولة الجزائرية، لتفعيل وتعزيز أمنها القومي والدفاع عن مصالحها في منطقة المتوسط، انطلاقاً من إدراكها بمدى أهمية الوسائل السلمية في تحقيق الأمن بكافة أبعاده، ومن هذه الوسائل الآليات الثقافية في تعزيز دور المجتمع المدني، وتقوية مؤسسات التنشئة السياسية والاجتماعية، وقبل التطرق لكل ذلك فإنه من الدواعي المنهجية البحث أولاً في الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية لمنطقة المتوسط ومكانة الجزائر فيها، وللإلمام بهذا الموضوع، قسم هذا المحور إلى عنصرين، سيتم من خلالهما التطرق للأهمية الجيوسياسية والاقتصادية لمنطقة المتوسط ومكانة الجزائر فيها، من خلال تفعيل آليات تفعيل الجزائر لدورها الدبلوماسي الثقافي في حماية مصالحها وأمنها في المنطقة المتوسطية.

أولاً: الأهمية الجيوسياسية والاقتصادية لمنطقة المتوسط ومكانة الجزائر فيها

من الناحية العملية ترتبط السياسة الخارجية بأكثر من بعد: متوسطي، عربي، إفريقي، لكن سيتم التركيز على البعد المتوسطي، إذ للبعد المتوسطي مساحة تأثير متوفرة للدبلوماسية الجزائرية أقل بكثير من تلك المتوفرة في السياق الإفريقي، أما بالمقارنة بالبعد العربي فإن ذلك يفسر من وجهة نظر معينة، بأن اختيار الجزائر للتركيز على العمق الإفريقي منذ الاستقلال

مرتبط بتوسع الصراعات العربية- العربية، وهو ما دفع الجزائر إلى تبني إفريقيا كمجال جيوسياسي مفضل (قرني، 2002، الصفحة 215).

بحكم الموقع الجغرافي للجزائر في الضفة الجنوبية للمتوسط، فإنها مرتبطة بدول جنوب المتوسط، حيث تتقاطع معها في الدوائر الأفريقية، والعربية، والمغربية، وهي مرتبطة في نفس الوقت بدول الضفة الشمالية للمتوسط بحكم القرب الجغرافي، والعلاقات الاقتصادية، وهو الأمر الذي جعل الجزائر تؤمن بضرورة العودة إلى مسارها الطبيعي ودورها الريادي، وهو ما تفسره جيوسياسية الأنشطة الأمنية للسياسية الخارجية الجزائرية في المتوسط خاصة في ظل بروز تهديدات أمنية وأخطار لائتمالية، كالجريمة المنظمة، والهجرة غير الشرعية، وتهريب الأسلحة، والاتجار بالبشر والمخدرات... وغيرها، تشترك فيها الجزائر مع غيرها من الدول المتوسطية سواء الجنوبية أو الشمالية كالاتحاد الأوروبي ودول حلف الناتو (لخضاري، 2015، الصفحة 50).

عرفت الجزائر عبر تاريخها عديد الحملات الاستعمارية و الغزو الأجنبي، الذي فرض في حقبة زمنية معينة المقاومة من أجل الاستقلال، وهي مرحلة الاستعمار الفرنسي، حيث طالما شكلت منطقة البحر الأبيض المتوسط جبهة انكشاف بالنسبة للجزائر، إذ أن كل الغزوات والحملات الاستعمارية جاءت من ناحية المتوسط بين سنة 1505 وسنة 1830، فقد تعرضت السواحل الجزائرية لحوالي 100 حملة وعدوان عسكري غربي بقيادة أوروبية، فرنسية تارة، إنجليزية، هولندية وإسبانية تارة أخرى، وذلك على الرغم من سيطرة الأسطول البحري الجزائري على سواحل المتوسط إبان فترة الحكم العثماني، وهذا دليل على الأهمية الاستراتيجية للمتوسط بالنسبة للجزائر منذ مئات السنين (بن عنتر، 2005، الصفحة 46).

يشكل البحر المتوسط معطى واقعي جيوسياسي وحضاري وتاريخي في آن واحد، وتمثل بذلك منطقة المتوسط رهانا استراتيجيا هاما، بحكم ميزاتها البحرية الهامة، التي تمثل نقاط تقاطع

ثلاث قارات هي: آسيا، أوروبا، وإفريقيا، ونقطة وصل بين المحيطين الأطلسي والهندي، فتبرز الأهمية الجيوسياسية للبحر المتوسط هي أولا جيوسياسية المجال الأرضي الذي يحيط به (رياض، 1989، الصفحة 65).

كما تبرز الأهمية الاستراتيجية لمناطق البحر المتوسط أنها تسهل عملية المراقبة أو الهجوم أو التجسس، وتسهل عملية الانتقال والاتصال كمنطقة مضيق جبل طارق ومضيق البسفور، وقناة السويس، فالقوة التي يمكن أن تغلق هذه المضائق الحيوية تكون قد أوقفت الملاحة إلى البحر المتوسط، ومنه إلى المناطق الأخرى (عنتر، 1982، الصفحة 147)، إذ تشكل هذه المناطق أهمية اقتصادية كبيرة، باعتبارها مفترق الطرق بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب، فالبحر المتوسط يشكل منطقة عبور بحرية للتجارة العالمية، فيكفي أن التجارة النفطية العالمية تتم عبر المتوسط، ومن الثروات الطبيعية التي يزخر بها المتوسط نجد النفط، والغاز، اللذان تزخر بهما الضفة الجنوبية إلى جانب المعادن (الفوسفات، الحديد)، والثروة السمكية...، حيث يحتوي على 7.5% من الثروات البحرية الحيوية، و18% من الثروات البحرية النباتية الموجودة في العالم (blea,2010,pag15).

يمكن القول أن اهتمام الجزائر بهويتها المتوسطية يعود لقناعة صناع القرار بضرورة عدم ترك زمام المبادرة حكرًا على دول الضفة الشمالية للمتوسط، ويعود هذا الاهتمام لأسباب استراتيجية وأمنية في الأساس، وباستخدامها للبعد الهوياتي المتوسطي مرتتجًا من خطابها الدبلوماسي الذي تضمن مثلًا اهتمامها وحتى اعتراضاتها فيما يخص مجال عسكرة المتوسط، إذ استنكرت الجزائر تلك المبادرات الأحادية الجانب والتي - حسبها - قد تشكل تهديدًا لها من قبل القوات العسكرية الأوروبية، واعتبرت أن ذلك سيكون مبررًا يسمح لدول أوروبا التدخل في شؤونها الداخلية تحت غطاء الأهداف الإنسانية وعمليات حفظ السلام (Baghzauz, 2009, pag 273).

في السياق ذاته فإن الجزائر أدركت أن ليس الجانب العسكري فقط كتهديد وجودي وأمني لهويتها المتوسطية، بل يبرز التحدي الثقافي والاجتماعي، من خلال الضغوط التي تتعرض لها للالتزام بالمبادئ، والقواعد، والاجراءات المتفق عليها في إعلان برشلونة عام 1994، وهي ترتيبات الشراكة كمرحلة أولى في مسيرة المشروع الأوروبي لتحقيق اتحاد متوسطي، ويسعى الاتحاد الأوروبي من خلال هذه الترتيبات، على توليف وتأسيس مجتمعات وأفراد في الضفة الجنوبية بمعايير إنسانية سياسية، وثقافية، تمكنهم من بناء سياق ثقافي جديد مع الأخذ بعين الاعتبار المتطلبات الجديدة للأمن الأوروبي في المنطقة المتوسطية، هذه في المرحلة الأولى، وهي المرحلة التي تتطلب وقتا طويلا، أما المرحلة الثانية، فإن الاتحاد الأوروبي يهدف إلى جعل شركائه المتوسطيين يرتقون في معاملتهم مع الاتحاد الأوروبي بنفس القيم، والمعايير، والمثل، بعد أن يحققوا خطوات معتبرة في مسيرة الشراكة الأورو-متوسطية، وتسمى هذه المرحلة بمرحلة المعاملة بالمثل، إذ نجاح أحد أطراف الشراكة في تغيير هويته مع تقدم مسارات التعليم وكثافة التعاملات والتفاعلات، سوف يحفز ويشجع الطرف الآخر لتبني مبادرة مماثلة أو ما يسمى المعاملة بالمثل (ونت، د س ن، الصفحة 313).

أمام هذه التحديات الأمنية الجديدة في جانبها العسكري والثقافي، ليس بوسع الجزائر إلا المسارعة في وضع سياسة داخلية بناءة، وذلك على اعتبار أن السياسة الخارجية ماهي إلا امتداد لسياسة الداخلية، بهدف الدفاع عن الأمن القومي وتحقيق المصالح الوطنية في منطقة المتوسط، فماهي أبرز هذه الآليات التي يمكن للجزائر في حال تبنيها تفعيل دبلوماسية

في الدفاع عن أمنها وتحقيق مصالحها؟

ثانيا: أهم الآليات التي يمكن للجزائر تفعيلها لتعزيز دور الدبلوماسية الثقافية في منطقة المتوسط

تبرز أهم الآليات في تفعيل دور البعد الثقافي للدبلوماسية الجزائرية في منطقة المتوسط في مجموعة العناصر التالية:

● تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني:

تشارك مؤسسات المجتمع المدني كالمجموعات الاجتماعية المؤطرة بدور هام في تربية وتنشئة الشباب تنشئة اجتماعية سليمة، حيث عن طريق ندواتها أو محاضراتها يمكن أن تساهم بفعالية في إكساب الشباب الخبرات والمهارات الاجتماعية، وتعزز فيهم البعد الثقافي والاجتماعي، الذي يحافظ على الهوية الثقافية للمجتمع من لغة وتراث وعادات وتقاليد، أمام التهديدات الثقافية والأمنية التي تفرضها العولمة (حمودي، 1998، الصفحة 228).

● التنشئة الاجتماعية:

تعتبر التنشئة الاجتماعية عملية أساسية يتم بواسطتها نقل التراث الحضاري وخبرات الأجداد وقيمهم إلى الأحفاد، ومنهم إلى الأجيال القادمة، إنها وسيلة الاتصال الرئيسية بين الماضي والحاضر والانتقال إلى المستقبل، ففيها ومن خلالها وفي نطاق الأسرة يلحق الطفل قيم مجتمعه ومثله وأهدافه، وما يعتز به من إنجازات في تاريخه الطويل...فهي في الأساس وظيفة أساسية من وظائف الضبط الاجتماعي (محمد عايش وآخرون، 2002، الصفحة 68).

إن التنشئة الاجتماعية تعد بمثابة القناة التي تؤمن مرور الثقافة بين الأجيال، وإحداث حالة من التناغم والملاءمة الاجتماعية بين الأفراد والمجتمع، فلا يمكن للثقافة أن تشكل الشخصية وتصوغها إلا عن طريق الصياغة الاجتماعية أو التنشئة الاجتماعية، ذلك أن مستقبل الأمة مرهون بطبيعة الرعاية التربوية والثقافية التي تتلقاها الناشئة، من خلال توفير الظروف الملائمة للتدريب على الحوار الهادئ الذي يفضي إلى مساعدة الناشئة على إبراز مواهبهم، والتعبير عن تطلعاتهم واعدادهم بطريقة فنية للقيادة وتولي المسؤوليات في الدولة والمجتمع (النجلاوي، 1999، الصفحة 27).

● التنشئة السياسية:

تعرف التنشئة السياسية على أنها عملية مركبة تعنى من ناحية نقل معلومات سياسية، قيم، ووجهات نظر الأسرة، المدرسة، دور العبادة، وسائل الإعلام المختلفة لاسيما المرئية منها، وذلك قصد تكوين مواطن مدرك لحقوقه وواجباته، فالتنشئة السياسية تعمل على تعميق الروح الوطنية والقومية لدى الأفراد ما يجعلهم يعتزون بثقافتهم وتراثهم وحضاراتهم، ذلك الاعتراز يدفعهم لأن يضحوا في سبيل وطنهم، وتعزيز ولائهم وانتمائهم له، بخلق توجه أيديولوجي لدى الأفراد يتماشى وقيم ومبادئ مجتمعهم، بما يحقق طموحاتهم في تنمية المجتمع سياسيا واقتصاديا واجتماعيا (زاید الطیب، 2001، الصفحة 75).

نستنتج أن أمام التحولات الجديدة لمفهوم الأمن في العقود الأخيرة، فإن الخيار المطروح أمام الجزائر لتقوية حضورها في منطقة المتوسط وتوظيف ما تمتلكه من موارد ثقافية وتاريخية تعزز حضورها الاقليمي والدولي، يكمن في العمل على تقوية جبهتها الداخلية في تبني سياسات هدفها البناء السليم للمجتمع سياسيا وثقافيا، من خلال تفعيل الدور المؤسساتي لتنظيمات المجتمع المدني في حماية الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري أمام حملات العولمة، والتركيز على توفير الحماية الاجتماعية للأسرة على اعتبار أنها الركيزة الأساسية في إنتاج الأفراد لتولي المسؤوليات، وكذلك إبراز دور المدرسة ووسائل الإعلام والأحزاب السياسية، كأدوات للتنشئة الاجتماعية والسياسية، فلا يمكن بناء خطاب دبلوماسي قوي ومدافع عن مصالح الأمة وأمنها القومي إلا في تعزيز الجبهة الداخلية وتفعيل سياسات ناجعة هدفها تحقيق المصالح والدفاع عنها.

خاتمة:

لقد ارتبطت آليات تفعيل البعد الثقافي في الدبلوماسية الجزائرية لحماية المصالح الوطنية في المنطقة المتوسطة، على طبيعة السياسة الداخلية التي يمكن أن تتبناها الجزائر في مجالات

الأسرة، والتعليم، والإعلام، وتنظيمات المجتمع المدني، وذلك على اعتبار أن السياسية الخارجية ما هي إلا امتداد للسياسة الداخلية، فإن البحث في مكان قوة الخطاب الدبلوماسي ومضامينه في الدفاع عن المصالح والأمن القومي، فإنه لا بد من هذا الخطاب أن يستمد قوته بناء على ما تمتلكه الجزائر من مقومات تاريخية وثقافية وحضارية تعزز وجودها في منطقة المتوسط وفي محيطها الإقليمي والدولي،

أهم النتائج والتوصيات:

- تعتبر الدبلوماسية الثقافية من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية في الدفاع عن أمن ومصالح الدولة.
- تمتلك الجزائر عديد المقومات الثقافية والتاريخية والحضارية، ما يجعلها ضمن دائرة التنافس العالمي.
- تشكل منطقة المتوسط أهمية جيوسياسية واقتصادية.
- للجزائر بحكم موقعها الجغرافي مكانة هامة في منطقة المتوسط ومعبر للعديد من الحضارات والحملات الاستعمارية.
- البحث عن قوة الخطاب الدبلوماسي ودفاعه عن الأمن القومي والمصالح الوطنية لا بد أن يتعزز في بناء سياسة داخلية فعالة.
- إن التحولات الجديدة في مفهوم الأمن، وظهور الأمن الثقافي، والتحول من الدبلوماسية التقليدية إلى الدبلوماسية الحديثة خلال العقود الأخيرة، تفرض على الجزائر التحول التدريجي نحو إيجاد سياسات ناجعة لا تركز فقط على القوة والجانب العسكري لتحقيق الأمن بل ضرورة أن تشمل تلك السياسات كافة أبعاد الأمن، السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

- لا بد للجزائر في تفعيل آليات الدبلوماسية الثقافية من خلال التركيز على الاهتمام بمجالات الأسرة والتعليم، ووسائل الإعلام وتنظيمات المجتمع المدني، كأدوات للتنشئة الاجتماعية والسياسية، تعزز قوة السياسة الخارجية والخطاب الدبلوماسي في الدفاع عن الأمن القومي وتحقيق المصالح في مختلف دوائر السياسة الخارجية منها دائرة المتوسط.
- تنظيم فعاليات ثقافية دولية.
- إنشاء مؤسسات متخصصة في الدبلوماسية الثقافية.
- دعم الإنتاج الثقافي الجزائري وتسويقه عالميًا.
- تعزيز التبادل الثقافي مع الدول الأخرى.

قائمة المراجع:

أولاً: باللغة العربية

- 1- أبو عباد، سعيد محمد، (2009)، الدبلوماسية تاريخها مؤسساتها أنواعها قوانينها، فلسطين: دار الشفاء للنشر والتوزيع.
- 2- صفاء ابراهيم العلوي، (2019)، حان وقت الدبلوماسية الثقافية، صحيفة الوطن، على الرابط: <https://alwatannews.net/article/834541/Opinion>
- 3- رافع علي السني، (2016)، الدبلوماسية الناعمة في السياسة الصينية تجاه افريقيا – العلاقات الصينية – السودانية نموذجاً 2000-2010، د ب ن: دار الجنان للنشر والتوزيع.
- 4- حاتم الجوهرى، (2018)، نحو ثقافة عالمية جديدة دبلوماسية تبادل المزيج الثقافي، على الرابط : <https://middle-east-online.com>

- 5- أحمد عقيل عبد، (د س ن)، الدبلوماسية التقليدية والدبلوماسية الشعبية، د ب ن: مركز رواق بغداد للسياسات العامة.
- 6- إياد خلف عمر الكعود، (2016)، " استراتيجة القوة الناعمة ودورها في تنفيذ السياسة الخارجية في المنطقة العربية"، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الشرق الأوسط.
- 7- سمينة صدوقي، (2018)، " مظاهر ونتائج التنوع الثقافي في الجزائر"، مجلة دائرة البحوث والدراسات القانونية والسياسية، العدد 4.
- 8- بهجت قرني، علي الدين هلال، (2002)، "السياسة الخارجية الجزائرية من الثورة إلى الانكفاء على الذات"، في: السياسات الخارجية للدول العربية، مصر: مركز البحوث والدراسات السياسية.
- 9- منصور لخضاري، (2015)، السياسة الأمنية الجزائرية: المحددات، الميادين، التحديات،، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- 10- عبد النور بن عنتر، (2005)، البعد المتوسطي للأمن الجزائري: الجزائر، أوروبا، والحلف الأطلسي، الجزائر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع.
- 11- محمد رياض، (1989)، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوسياسية، لبنان: دار النهضة للطباعة والشر.
- 13- محمد صابر عنتر، (1982)، "الأمن العربي والبحر الأبيض المتوسط تحييد البحر المتوسط إضافة للأمن العربي"، مجلة قضايا عربية، العدد 4.
- 14- ألكسندر ونت، (د س ن)، النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية، ترجمة: عبد الله جبر صالح العتيبي، السعودية: دار النشر العلمي والمطابع.
- 15- عبد الله حمودي، (1998)، المجتمع المدني في المغرب العربي، د ب ن: دار توتقال.

- 16- محمد إبراهيم عايش وآخرون، (2002)، " أنماط المشاهدة لبرامج الأطفال في محطات التلفزة المحلية العربية "، مجلة شؤون اجتماعية، العدد 19.
- 17- عبد الرحمان النجلاوي، (1999)، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط 2، لبنان: دار الفكر المعاصر.
- 18- مولود زايد الطيب، (2001)، التنشئة السياسية ودورها في تنمية المجتمع، عمان: المؤسسة العربية الدولية للنشر.

ثانيا: باللغة الأجنبية

- 1-Tim rivera,(2015),Distinguishing Cultural Relations from Cultural Diplomacy : The British council's Government Figueroa press los Angeles.
- 2-Planblea, les transport marchandises en d'activités régionales du pnue /pom ,Valbonne.
- 3- Aomar Baghzauz,(2009), The Mediterranean policy of ALgeria,in Isabel Schafer and Robert Henry (eds), Mediterranean policies from Above and Below, Berlin / Aix-en-provence:Nomos.